فزارت الفيلسوف مع أمها شاكرة له.

هنالك نشط الأمل وتجددت الحياة ، واعتقد الفيلسوف أنه سعيد . واستأنف الحاحه على الفتاة ، واستأنفت الفتاة مدافعته عن نفسها ، واحتالت فى ذلك حتى زعمت له أنها قد أحبت من قبله فتى كان لحبها أهلا ، وأحبها الفتى وسعد بهذا الحب ؛ ولكن لم يعدا الى الزواج سبيلا . لأن الفتى كان معلقاً مثلها بخاصم امرأته ولا يستطيع لها فراقا . فيئست من الحب والسعادة ، وأزمعت أن تنصرف عن لذات الحياة أبدا . ولكن الفيلسوف مغرم . والغرام لا يعرف اليأس ، وهو اذا كان صحيحاً قويا قد يتحول ويتشكل ، ولكنه لا يزول . وما الذى يمنع غرام كونت أن يتخذ شكلا فلسفيا ولو الى حين . لقد كان عود نفسه الحرمان منذ دهر طويل ، فألغى القهوة منذ عشرين سنة ، وترك التدخين منذ عشر سنين ، ثم ألغى النبيذ ثم ألغى الفاكهة ، ثم اتخذ ميزاناً يزن به ما يلائم حاجة جسمه من الطعام الخشن ، وكان ربما يكتفى بالكسرة من الخبز يتبلغ بها ، وهو يفكر فى اخوانه من الناس الذين قد لا يظفرون بمثلها . ومادام قد سيطر على نفسه الى هذا الحد . وعودها هذا الحرمان فى الطعام والشراب ، فماله لا يزيد هذه السيطرة وماله لا يعود نفسه الحرمان لا فى الحب بل فى لذات الحب . إذاً فليبق حبه قويا حارا ؛ ولكن ليظل هذا الحب نقيا طاهرا بعيدا من كل لذة ، وليتظر ، وليجتنب اليأس . فكل شىء يدنى الفتاة منه . وكل شىء يدنيه من الفتاة . لقد أصبحت زميلة له منذ نشرت بعض الصحف السيارة لها قصتها التى وضعتها عن نفسها فأصبحت كاتبة مثله تتحدث الى الناس فى الأدب كما يتحدث هو الى الناس فى الفلسفة . هما إذاً زميلان . بل هما أكثر من زميلين ؛ فقد أخذت الفتاة تدنو من مذهبه فى الفلسفة . وتحس ميلا الى آرائه الاجتماعية . وتكون منه مكان التلميذ والنصير . فليحب إذاً وليصبر . وفى أثناء ذلك كانت أم الفتاة تقول لها : لولا أن مسيو كونت قبيح دميم لقلت انه يتملقك ويدور حولك كما يدور العاشقون حول من يحبون . ومع ذلك فان من الحق عليه لك ولنفسه أن يفكر فى أن هذه الزيارات المتصلة المنظمة ، لا تليق بك ولا به لأنها تخالف العرف المألوف أشد الخلاف .

« يتبع »

اظر مجلة الثقافة التى صدرت فى أول فبراير سنة ١٩٣٣

الوادى [1]

للشاعر الفرنسى لامرتين

ان فى المكلوم المتقطع حبل رجائه حتى من الأمل ، لن يزعج الأقدار بعد الآن بابتهالاته كما كان يزعجها من قبل .

ولكن أيها الوادى . يامأوای فى أيام طفولتى ، افسح لى مجالا — ولو ليوم واحد — فأعيش فى ربوعك فى انتظار المنون .

* * *

هاهى ذى الطريق الضيقة المؤدية الى ذلك الوادى المظلم .

هنا . فى أحضان هذه الروابى ، تقوم أشجار تلك الغابات الكثيفة ، فترسل ظلها على وجهى الشاحب ، وتحوطنى بسكون مسكر .

* * *

وهناك جدولان يجريان تحت « جسور (٢) » من الأعشاب المخضوضرة ، فيرسمان فى انسيابهما تعاريج الوادى ومنحدراته . وتراهما بين الفينة والفينة ، يمزجان تموجاتهما الفضية بألحان خريرهما العذبة ، ثم يتلاشيان قريبا من المنبع ، بعيداً عن أعين الناس .

* * *

وأيامى فى انسيابها أشبه بهذين الجدولين ! فهى تمضى وتتلاشى دون أن يشعر بها الناس ، ودون أن تحدث ذلك الخرير العذب ! أما نفسى الكئيبة المتلاعة فهيهات أن تعنى بحياة يوم جميل من أيام حياتى .

* * *

ان خمائل الوادى الفيحاء ، بظلها المخيم ، دفعتنى لقضاء النهار (٣) كله على ضفاف جداولها . ففى الحساسة تغفو على أنغام خرير المياه ، كما يغفو الطفل فى مهده على صوت المغناة .

* * *

هناك تحوطنى الطبيعة بأسوار من العشب الأخضر ، وبأفق محدود ، لكنه فسيح لناظرى .

---

١) نظم لامرتين هذه القطعة الشعرية المتازة فى أواخر عام ١٨١٩ ، بعد أن قام فى الوادى الذى يعنيه Pérouillet سنة كاملة .

٢) أصل هذه الكلمة Ponts وقد احتفظنا بمعناها الصريح .

٣) هنا يتذكر الشاعر يوما مشئوما كاد يموت فيه غرقا فى بحيرة صغيرة لولا نشاط أحد أصحابه إبان تهوره .

انى أحب أن أثبت قدمى ، وأن أبتعد عن الناس لأسمع خرير المياه ، ولأتمتع برؤية السماء .

* * *

لقد رأيت فى حياتى أموراً كثيرة ، وشعرت بأحاسيس جمة . وملأت أيامى عشقا . والآن جئت أسترجى الطبيعة فى هدوئها الشامل .

أيتها الأماكن البهيجة الجميلة ! كونى لى تلك الضفاف التى ينسى الانسان بقربها كل شىء . فقد أصبح سر سعادتى فى النسيان .

* * *

هنا يطمئن قلبى : هنا ترتاح نفسى : هنا تلفظ صوضاء العالم البعيد أنفاسها الأخيرة كما يلفظ الصوت البعيد أنفاسه حين تعذبه المشقة قبل أن يصل مع النسيم الى الأذن الحائرة .

* * *

من هنا ، ومن خلال هذه الغيوم الصافية ، أرى ماضى حياتى يختفى فى ظلام دامس . تاركا فى نفسى ذكريات حية لحى . كما تترك اليقظة فى نفس المستيقظ صور خيالات جميلة لحلم لذيذ قد استفاق منه .

* * *

يانفسى ! خذى حظك من الراحة فى هذا المنزل الأخير كما يأخذ المسافر الطافح قلبه بالآمال ، حظه من الراحة ، قبل أن يدخل أبواب المدينة . يستنشق هنيهة نسيم الماء المعطر .

* * *

ولننهض نحن أيضا كما يفعل هذا المسافر ، لأننا لن نمر ثانية فى هذه الطريق التى اجتزناها ملوية بالغبار . ولنتذوق مثله أيضا ، فى آخر مرحلة من طريقنا ، هذا الهدوء الذى يبشرنا بضجعتنا الابدية .

* * *

أيها الانسان ! ان أيامك المعدودة ، التى تشبه فى حلكتها وقصرها أيام الخريف ، تتحدر بك كما يتحدر الظل على جوانب الهضاب . فالصداقة تخونك ، والرحمة تعرض عنك ، الى أن تتركك فى طريق القبر وحيدا .

* * *

ولكن الطبيعة هنا تدعوك اليها لتنسك أشواقها ، فارتم فى أحضانها .

عند ما يقلب لك كل شىء ظهر المجن ، عند ما يخونك كل شىء ويعرض عنك ، ترى الطبيعة على حالها المعهودة . فالشمس نفسها تشرق طيلة أيام حياتك .

* * *

ان الطبيعة لم تزل كما كانت عليه بالامس . ترشدنا تارة بنور حقيقتها . وتضللنا أخرى . فلا تأسف أيها الانسان لكل ما تضيعه من متاع الحياة الدنيا ، وتعال نعيد ذلك الصدى وألحان تلك الموسيقى العلوية كما كان يتعبدهما « فيثاغورس (١) » من قبلك .

* * *

دع الطرف يناجى الزرقة فى سمائها نهارا . والاشباح فى محرابها ليلا : واسبح مع الغيوم على بساط الريح : واخترق غابات الوادى الظليلة مع أشعة ذلك الكوكب الخفى .

* * *

ان الله خصك أيها الانسان بالعقل والفطنة لكى تحقق بهما وجوده . فاستجله فى صحيفة الطبيعة ، فان فى سكونها وهدوئها صوتا يهتف باسمه .

من منا لم يسمع هذا الصوت يدوى فى أعماق قلبه ؟ .

بيروت — محمد كرما

---

(١) هو عالم وفيلسوف يونانى ، عاش فى القرن السادس قبل المسيح . تعمق الطبيعة ، وهو مدين لها بكثير من بحوثه العلمية كسرعة الصوت فى الهواء . وأسباب حدوث الصوت . الخ . . .

oooooooooooo

غـــيرة

قد زرعنا بين أفواف الربا ... وردة الحب لاقبال الربيع
داعبتها عند إقبال الصبا ... نسمة الآصال والصبح الوديع

....

خلع الروض شذاه بعدها ... وحباها اللون وجنات الحبيب
فهى كالنار ، ولكن عندما ... تشتهى الأفواه تقبيل اللهيب

....

كان قلبى مسرح الود الندى ... وسقته العين أمواه الحياه
وعزيز أن أرى غرس يدى ... تحتويه بين عينى الشفاه

....

وردة الحب استباحت أدمعى ... وتولت عند إقبال الخريف
عذبت قلبى وأبكته معى ... وأرتنى كيف إذلال الضعيف

« محمود محمد متصر »